



# نطالب الآداب بالمزيد

ومن هنا نفهم أيضا سر احتضان « الآداب » لحركة الشعر العربي الحديث التي كانت استجابة لنهوض البورجوازية العربية وضروره استنباط اشكال في السلوك والفن مناقضة للمفاهيم الاقطاعية والمتخلفة والتي كانت سائدة آنذاك .

ولقد خاض الشعراء الرواد عبر مجلتهم صراعا مريرا ضد التقليد مواجهين حملة من الانهزامات والافتراءات من القوى المحافظة ، وكان « للآداب » اثر هام في دفع مسيرة الحدائة الى الامام وتكريس الشعر الحديث كشكل من اشكال التعبير لا عودة عنه . كما اتيح للكثير من شعرائنا الكبار امثال اسياب والبياتي والحيدري ونازك الملائكة واحمد عبدالمعطي حجازي والفيتوري وعبد الصبور ان يجدوا في « الآداب » متراسا متقدما من متاريس الدفاع عن شعرهم الجديد ، في حين كانت « الآداب » تفتح صدرها لكل الكتابات النقدية المدافعة عن هذا الخط والمناهضة له في آن واحد ، مؤمنة بان التغيير هو وليد الصراع ، وبان هذا الصراع لا بد وان يؤدي في النهاية الى تثبيت المفاهيم الاكثر تقدما ضمن الصراع نفسه .

ولم تترك « الآداب » في ربع القرن الاخير مناسبة او حدثا سياسيا عربيا الا وكان لها موقف منه . وهكذا كانت شهادة على عصر عربي متفجر بدءا من ثورة يوليو مروورا بحرب السويس وتجربتي اتوحدة والانفصال وحرب الجزائر وحربي حزيران وتشرين انتهاء بالاحداث الاخيرة في لبنان . كان للمحلة في كل هذه المناسبات وفي اقصى الظروف مواقف شجاعة وحازمة كما كانت جريئة في المواجهة والتصدي .

وفي حين كانت « الآداب » تشق طريقها نحو الحدائة بخطى ثابتة كانت تدرك بان موقف اية امة من تراثها هو علامة تطورها او تخلفها ، وهذا التراث ليس عبئا ثقيل

لعلها اكثر من مصادفة ان يتوافق ظهور « الآداب » في مطلع الخمسينات مع انبثاق ثورة ٢٣ يوليو في مصر وبداية النهوض العربي القومي بشكل عام . وبما ان التاريخ ليس اعمى واحداثه لا تخضع لمنطق الصدفة العشوائية فلا بد لنا من ان نكتشف علامات هذا التوافق واسبابه .

لقد لسهمت الحرب العالمية الثانية في تغيير العالم وقلب موازينه السياسية والاقتصادية والفكرية . كان هناك عالم يتداعى وينهار وعالم يخرج الى الوجود ، كما كانت هناك قيم تسقط وقيم في طريقها الى الولاة . وبنهوض البورجوازية الغربية ورسوخها كان البحث عن صيغ اكثر تطورا في الفن والسياسة يشق طريقه وسط انقاض الجيل القديم وخراب عالمه .

في ذلك الوقت كانت البورجوازية العربية في طريقها الى اتكون ، وكان عليها ان تواجه مهام البناء الاجتماعي في الداخل ومهام التحرر الوطني من الاستعمار في الخارج . كان العرب يواجهون معركة وجودهم واستقلالهم ، وكان العامل القومي حاسما ضمن أي توجه نحو التغيير . ولم تكن المسألة القومية في اقرب شبيهة بنظيرتها عند العرب ، ففي حين ارتدت الاولى اشكالا من التعصب الشوفيني والهيمنة محاولة ان تتوسع على حساب الشعوب الضعيفة والمتخلفة كان الشعور القومي عند العرب مساحة من الامل بالمستقبل تحاول ان تواجه تحديات الواقع وتخوض صراعا مرا ضد الامبريالية والصهيونية .

ولقد وعت « الآداب » هذه المسألة بعمق واتخذت منها موقفا متفهما وواعيا مؤيدة حركة النهوض العربي ومجمل الثورات التي اسهمت في بعث هذا النهوض وتثبيته .

كما لا ننكر أن بعضاً من المواهب الكبيرة قد تفتحت براعمها في هذه المجلة وكان لها شأن في الشعر العربي اللاحق . وجاءت « حوار » بعد ذلك فكانت أمينة تخط سابقاتها متورطة أكثر مع بعض الدوائر السياسية المشبوهة .

لقد تبنت « الآداب » منذ تأسيسها خطاً فنياً حافظت عليه دائماً الا وهو الحذر والاعتزان ، ولذلك فهي لم تبالغ في اطلاق مسألة الشكل الفني حتى نهاياتها ، في حين كانت « مواقف » مع مطلع السبعينات تغامر أكثر في هذا المضمار وتقدم عدداً كبيراً من الاسماء الجديدة التي تقف جميعها تحت لافتة الانفجار .

كانت « مواقف » استمراراً لما بدأت به « شعر » على المستوى الفني ولكنها كانت على المستوى السياسي أكثر وعياً لدورها التاريخي وأكثر فهماً لمستلزمات المرحلة ، الا ان المنزلق الذي وقعت فيه المجلة هو انها كانت أكبر من كتابها ، وكانت الاسماء فيها مجرد اشارات عابرة ضمن قصيدة طويلة واحدة كان بطلها أدونيس ، او على الأقل الروح الادونيسية . ذلك لان المجلة كانت تعد شعراءها أصلاً لخدمة الخط الادونيسي والذي يطمح الى تأسيس كتابة جديدة وقفا لوهم خاص قائم على الانقطاع التام بين ما هو في الواقع وما هو في الذهن .

ونستطيع ان نعتبر ان فترة ما بعد حزيران كانت فترة تراجع قومي في نفس الوقت الذي كانت فيه فترة تراجع « للآداب » . وليس صدفة ان تنمو « الآداب » مع نمو المرحلة القومية وتنحصر بانحسارها ، ذلك لان المجلة قد اقامت منطقتها الخاص ضمن دائرة المنطق البورجوازي نفسه ، تاركة لهذا المنطق ان يصطدم بواقع قصور هذه الطبقة عن انجاز مهامها الوطنية كاملة . ولكن ذلك لم يمنع المجلة من الاستمرار والقيام بأعباء

كما تصوره بعض المجلات الاخرى ولا تركة يجب التخلص منها بحيث جاء رفضها للتراث رفضاً للذات العربية نفسها ومحاولة للسير في الفراغ . كان مفهوم الرفض عند « الآداب » ايجابياً وواعياً ، فلقد فهمت رفض التراث على انه رفض للساقط منه ، محاولة ان تتجاوز هذا التراث وتضيف اليه بدلاً من قتله واعدامه . وكانت تؤمن ان في التراث عناصر فاعلة ومضيئة يجب الاستناد اليها والانطلاق منها في اية عملية تغيير محتملة . ولقد املى هذا الموقف على « الآداب » التزامها القومي وشعورها بدورها التاريخي الذي يجب ان تلعبه في بناء الثقافة العربية الجديدة .

في ذلك الوقت كانت مجلة « شعر » التي لا ننكر دورها الفعال في تثبيت الحدائث تحاول ان تقفز فوق الواقع وتلبس قماشاً للتغيير لا تتناسب مع طبيعة الجسم العربي آنذاك . كانت هذه المجلة تستعير التجديد ولا تبتكره ، متأثرة بالثقافة الغربية التي اعتبرتها اساساً للمعرفة ورمزاً لها في اول موسم للهجرة نحو الشمال على حد تعبير الطيب صالح . ولم يكن ذلك صدفة ولا عرضاً ، ولكن شروط هذه المسألة كانت تتحقق في الواقع مع تبعية عدد من البورجوازيات العربية للسيطرة الامبريالية وخضوعها لمنطق البورجوازية الغربية وهيمنتها على المستويين الاقتصادي والايديولوجي . ولم يكن القارئ العربي ليميز كثيراً بين ما هو

مترجم في المجلة وما هو موضوع بالعربية أصلاً ، اذ فقدت اللغة شحناتها الحية وبعدت المسافة بين آدال والمدلول وغرقت الجمل في جليد الذهنية والتداعي . غير اننا لا ننكر بالمقابل ما قامت به مجلة « شعر » من جهود وافرة في ترجماتها المختلفة وتعريفنا بالتالي على الآداب الاخرى .

صدر حديثاً

# الطريق الى الخيمة الاخرى

تأليف الدكتورة رضوى عاشور

دراسة في اعمال غسان كنفاني

دار الآداب

جديدة فرضتها معارك الدفاع عن الحريات في الفترة الأخيرة . ويقار ما كانت « الآداب » تزيد من مواجهتها لقوانين التجبر وتقييد الفكر بقدر ما كانت تتعرض للمنع والمصادرة في دول عربية عديدة . ولقد خاضت المجلة معركة الديمقراطية في أكثر من دولة عربية بينها لبنان ومصر والبحرين .

كما حملت المجلة مسؤولية التصدي بشجاعة لكل أشكال القمع والارهاب الايديولوجي ، وعبرت عن ذلك في معظم المؤتمرات الادبية التي عقدت في الآونة الأخيرة ومن بينها مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في تونس عام ١٩٧٣ .

وإذا كنا قد شددنا على الدور الايجابي الذي لعبته « الآداب » عبر مسيرتها الطويلة وتحملها لابعاء فكرية جسيمة فلا بد و « الآداب » تقف على أبواب عامها السادس والعشرين من أن تلقي ضوءاً على بعض الثغرات التي تعاني منها المجلة وأن كانت هذه الثغرات طبيعية عند من يعمل وخاصة في مجال خطير كالفكر .

إذا كان التعايش بين الجديد والسائد يبدو امراً مقبولاً مع بدايات التجديد في الخمسينات وضمن عملية الصراع الفكري في ذلك الوقت ، فإن هذا التعايش في فترة متأخرة مسألة تدعو لاعادة النظر . وإذا كنا نقرأ على صفحات « الآداب » في الخمسينات القصيدة العمودية التقليدية الى جانب القصيدة الحديثة دون أن نحس بالفراغ ، فإن هذه المسألة تبدو غير طبيعية في السبعينات لأنها تدل على التردد في مسيرة التجديد أو الحذر من اكمال هذه المسيرة حتى ولو لم يرد أصحابها ذلك . ان على المجلة أن تعمق التناقض بين الاشكال السائدة والاشكال التي يجب أن تسيء لا أن تقيم مصالحة بين الطرفين ، لأنها بذلك تعيق شروط النمو الابداعي وتمنعه من الاستمرار . ونحن بذلك لا ندعو المجلة الى أن تحذو حذو سواها من المجالات في خوض المغامرات اللامسؤولة والوصول الى حالة اللالفة أو الهديان التدميري ، ولكننا نريد منها أن لا تحذر من أن تضم بين صفحاتها المزيد من التجارب والانماط الفنية كقصيدة النثر وسواها من الاشكال الحديثة . فالتشعر الحديث لا يزال تجريبياً بمعظمه ولم يتحدد أصوله النهائية حتى الان ، ولذلك فإن التجارب الجديدة يمكن لها أن تفني هذا الشعر وتدفعه الى الامام .

ذلك نتمنى على المجلة أن تكون أكثر جذرية فسي عملية المواجهة الثقافية التي تبدو اليوم أكثر حدة من ذي قبل ضمن الدور الخطير الذي تلعبه الثقافة في المواجهة السياسية والحضارية التي نخوضها اليوم .

ان تداخل الانماط الفنية والايديولوجية في عالمنا العربي هو نتاج طبيعي لتداخل انماط الانتاج الرأسمالية والمتخلفة مما يدفع هذه التيارات المتناقضة للتعايش بشكل مدهش .

ودور مجلاتنا الطليعية لا يجب أن يكون تكريسنا لهذا التعايش بل يجب أن يكون حسماً لهذه المسألة باستبعاد ما هو تقليدي وهامشي وتكريس ما هو فاعل ومتطور . ان على « الآداب » أن تعيد النظر في قبولها لبعض الكتابات الرديئة والاقلام المتخلفة التي لا تخدم المجلة او الثقافة في شيء ، كما ان عليها ان تركز أكثر على عملية النقد عبر اجتذابها للاقلام النقدية الهامة خاصة وان المجلة قد استقطبت في السابق أهم عابرة النقد في الخمسينات والستينات ، وأصدرت أعداداً خاصة كانت اشارات بارزة ضمن تطور الشعر والنقد العربيين ، وحسبنا أن نشير هنا الى عدد « الآداب » الممتاز الصادر عام ١٩٦٦ .

هناك مسألة ثانية يجب تناولها بموضوعية تامة ، وهي مسألة الاعداد الوثائقية التي تصدرها « الآداب » بعد كل حدث سياسي أو عسكري بارز ، وهذه الاعداد تأخذ غالباً طابعاً تسجيلياً وتاريخياً محضاً ، نذكر على سبيل المثال الاعداد الخاصة التي صدرت بعد حزيران وتشرين وأثناء أحداث لبنان . ان محصلة هذه الاعداد كانت رديئة ومتخلفة ( عدا بعض الالتزامات هنا وهناك ) وكانت ردود فعل سطحية قاصرة عن بلوغ الفعل نفسه أهمية وتأثيراً . ان هناك مسافة بين الحدث في الواقع وبين الاستجابة للحدث على مستوى الفن . هذه المسافة لا بد منها لأنها الفراغ الذي يمنح الرؤيا والعازل الذي يمنع التماثل . لهذا فإن الكتابة العميقة عن الظاهرة التاريخية غالباً ما تتأخر عن الظاهرة نفسها اعواماً عديدة . ومن هنا نستطيع أن نفسر رداءة القصائد والقصص التي كتبت بعد حربي حزيران وتشرين مباشرة ، ففي حين غرقت الاولى في التفجع والتندب سقطت الثانية في تفاؤل مصطنع دون أن تجد كل هذه الكتابات مرتكزاً عميقاً لها في الواقع وأن تدخل في خلايا الحدث ونسيجه الباطني . والمجلة الاديسية لا يجب أن تغلب المعايير السياسية على الفنية لان شروط الانتصار في الفن ليست نفسها شروط الانتصار في السياسة ، وعلى الفن ان يستكمل أدواته الفنية وشروط تكوينه قبل أي شيء آخر . ورغم ان « الآداب » لم تفعل النتاج الادبي في العالم ولا الترجمات الادبية ، الا انها تشكو من نقص في هذا المجال ، وهي مدعوة للمزيد من الانفتاح على آداب العالم وخاصة الثورية منها والتي تسهم في اغناء الذاكرة العربية وتوسيعها . نطلب ذلك ونحن نعلم ان « الآداب » ليست مؤسسة رسمية ولا تضرب بسيف اية سلطة ، ولكن من يتصدى للمهمات الجسام عليه أن يبذل الكثير والكثير .

ان ما تقدم ليس أكثر من اشارات عابرة حاولت أن ترسم الخطوط العريضة لدور « الآداب » التاريخي . والدور العظيم هو برسم المؤسسات العظيمة ، ولهذا فنحن نشكر « الآداب » بقدر ما نطلب منها المزيد .